

لا تحزن إن الله معنا

تأليف الشيخ
أبي محمد عاصم المقدسي

منبر التوحيد والجهاد

* * *

<http://www.tawhed.ws>
<http://www.almaqdese.net>
<http://www.alsunnah.info>
<http://www.abu-qatada.com>
<http://www.mtj.tw>

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد فأعلم وفقك الله لكل خير أنه قد طلبنا أولياء الطاعات في أواخر شهر رجب من هذه السنة نحن وبعض إخواننا الموحدين فمنهم من اعتقلوه، ومنهم من لم يظفروا به فتركوا له أمراً عند أهله يتضمن مجيئه إليهم، وأنه قد حصل خلافاً يسيراً بين هؤلاء الأخوة المطلوبين، في حكم الاستجابة لطلب هؤلاء الكفار.

فمنهم؛ من رأى الاستجابة لطلب هؤلاء الكفار.

ومنهم؛ من رأى عدم الاستجابة، وهؤلاء انقسموا إلى طائفتين طائفة قالت لا نذهب إليهم بأنفسنا ولا نستجيب لطلبهم وأمرهم إلا أن نتبين أن الأمر ليس فيه فتنة أو نعتقل كرهاً.

وطائفة قالت؛ لا نستجيب لطلبهم أبداً، ولو داهمونا دفعنا عن أنفسنا وقتلناهم حتى ننجوا أو نقتل.

فأحببت - حرصاً على إخواني - أن أحرر هذه المسألة بالدليل الشرعي ليظهر لي ولإخواني الحق فيه.

فأقول سائلاً المولى التوفيق والسداد...

أولا

في بيان مشروعية وجواز الفرار من الكفار والاختفاء منهم حال الاستضعاف

روى البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان "باب: من الدين الفرار من الفتن"، عن أبي سعيد الخدري أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن).

وروى أيضاً في كتاب الفتن "باب: تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم"، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه، فمن وجد منها ملجأ أو معاذاً فليعذ به).

ففي هذه الأحاديث فائدة جلية عظيمة وهي مشروعية الفرار من الفتنة وعدم المشي أو السعي إليها.

وفيها أن ذلك من الدين والإيمان، وليس من الجبن والخور كما يظن كثير من الناس. وكيف يكون الفرار من الفتن أو الاستخفاء منها من الجبن والخور وهو ديدن الأنبياء والصالحين في زمن الاستضعاف.

فهذا خاتم الأنبياء والمرسلين بعد أن أعلن وصدع بدعوته وأظهر كفره وبرأته من الكفار وإلتهم الباطلة، يستخفي حيناً هو وطائفة من أصحابه، بعد أن تسلط الكفار عليهم وأذوا بعضهم.

وفي البخاري قصة إسلام أبي ذر وخبره مع علي وطريقة توصيله أبا ذر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وما يدل على هذا.

ومن ذلك ما رواه الإمام أحمد [3/322 - 339] في مسنده وغيرهما عن جابر في أمر بيعة العقبة وفيه قوله (حتى لم يبق دار من دور الانصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام)؛ ثم ائتمروا جميعاً، فقلنا:

(حتى متى نترك رسول الله صلى الله عليه وسلم يُطرد في جبال مكة ويخاف؟) فرحل إليه منا سبعون رجل قدموا عليه في الموسم فواعدناه في شعب العقبة، فاجتمعنا عليه من رجل ورجلين حتى توافينا... إلى آخر الحديث).

وفي البخاري عن عبد الله بن مسعود قال (بينما نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار، إذ نزلت عليه {والمرسلات} فإنه ليتلوها وإني لأتلقاها من فيه، وأن فاه لرطب بها، إذ وثبت علينا حبة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أقتلوها" فابتدرناها فذهبت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "وُقيت شركم كما وقيتم شرها").

وأمثال هذا كثير.

وقد قال الله تبارك وتعالى: {إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا} فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم.

وفي خبر الهجرة عبرة في ذلك.

وهذا نبي الله موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام يقول الله تبارك وتعالى: {وجاء رجل من أقصا المدينة يسعى قال يا موسى إن الملا يأمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين} * فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين.

فإن قيل: كان ذلك قبل نبوته؟

قلنا: فلم ينكره موسى عليه السلام بعد نبوته، بل صححه وصوبه كما أخبر الله تعالى عنه في قوله: {كفرت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين}. وقد قال تعالى عنه بعد ذلك {وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين}.

ففي ذلك استخفاءهم وصلاتهم في بيوتهم، وليسيد قطب حول هذه الآية كلاماً طيباً يراجع في "الظلال" [ص 1816].

والفتية أصحاب الكهف بعد أن صدعوا بتوحيدهم
وهددتهم قومهم وتوعدوهم أووا إلى الكهف، كما أخبر
تعالى: {وَإِذَا اعْتَرَضْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْا إِلَى
الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ
مَرْفَقًا}.

وقال سبحانه وتعالى عنهم {قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسَ
فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِرِوقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى
طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا*
إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ
وَلَنْ تَفْلَحُوا إِذَا أَبَدًا}.

وهكذا غيرهم من الصالحين حال استضعافهم، فلو
تبعنا أخبار التابعين من سلف هذه الأمة لو جدت من ذلك
أمثلة كثيرة.

وأكتفي بالتمثيل بثلاثة قال فيهم ابن الجوزي في
مقدمة كتابه "مناقب الإمام أحمد بن حنبل": (غير أنني
تبحث عن نائلي مرتبة الكمال في الأمرين أعني - العلم
والعمل - من التابعين ومن بعدهم فلم أجد من تم له
الأمران علي الغاية التي لا يחדش وجه كمالها نوع نقص،
سوى ثلاثة أشخاص: الحسن البصري، وسفيان الثوري،
وأحمد بن حنبل) أهـ [ص 5].

أما الحسن البصري فقد خرج - وقيل أخرج - مع من
خرجوا على الحجاج زمن فتنة عبد الرحمن بن الأشعث⁽¹⁾،
حيث خرج ابن الأشعث وخرج معه طائفة من القراء
والفقهاء ثورة على جور وعسف الحجاج، وبعد هزيمة ابن
الأشعث بقي الحسن البصري متوارياً من الحجاج لدرجة
أن ابنة له ماتت فلم يقدر على الخروج عليها، فأتاب ابن
سرين بذلك⁽²⁾.

أما سفيان الثوري فخرج هارباً إلى البصرة لما عرض
عليه الخليفة المهدي منصباً، وهو الذي يقول: (ليس أخاف
إهانتهم، إنما أخاف كرامتهم، فلا أرى سيئتهم سيئة، لم أرى
للسلطان مثلاً إلا مثلاً ضرب على لسان الثعلب، قال،

(1) أنظر سير أعلام النبلاء للذهبي (583/4).

(2) المرجع السابق (610/4).

عرفت للكلب نيفاً وسبعين دستاناً⁽³⁾ ليس منها دستان خيراً من أن لا أرى الكلب ولا يراني⁽⁴⁾.

أما الإمام أحمد؛ فقد اختفى أيام الواصل وذلك بعد أن صدع بعقيدته في القرآن وابتلي في ذلك بلاء عظيماً، فاخفى بقية حياة الواصل فما زال يتنقل في الأماكن ثم عاد إلى منزله بعد أشهر فاخفى فيه إلى أن مات الواصل.

وقال إبراهيم بن هاني: (اختفى عندي أحمد بن حنبل ثلاثة أيام، ثم قال أطلب لي موضعاً حتى أتحوّل إليه. قلت: لا أمن عليك يا أبا عبد الله. فقال: إفعل! فإذا فعلت أفدتك، وطلبت له موضعاً فلما خرج قال لي: اختفى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثة أيام ثم تحول، ليس ينبغي أن يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم في الرخاء ويترك في الشدة) أهـ⁽⁵⁾.

وفي رواية حنبل في شأن اختفاء الإمام أحمد في حياة الواصل، قال: (فلم يزل أبو عبد الله مختفياً في القرب، ثم عاد إلى منزله بعد أشهر أو سنة لما طفق خبره ولم يزل في البيت مختفياً لا يخرج إلى الصلاة ولا غيرها حتى هلك الواصل).

فإذا ما صدع المرء بدعوته على هدي الأنبياء فتبرأ من الشرك والمشركين، ثم طلبوه حال استضعافه وقلة حيلته وأنصاره فلا يعيه أن يفر منهم أو يستخفي، لأن هذا من حال الأنبياء والصالحين وطريقتهم حال الاستضعاف كما رأيت.

⁽³⁾ الدستان: كلمة فارسية معناها المكر والخديعة.

⁽⁴⁾ السير (7/262).

⁽⁵⁾ مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص 349

ثانياً في حكم الفرار من الكفار حال الاستضعاف هل هو على الوجوب أم الاستحباب أم ماذا؟

إذا تقرر ما سبق وعرفت مشروعية الفرار من الكفار حال الاستضعاف بقي أن تعرف حكمه، فنقول وبالله التوفيق:

إن ذلك يرجع إلى حال الطالب والمطلوب.

فإذا كان المطلوب ذا جاه أو عشيرة أو منعة ويعرف أو يترجح لديه أنه لن يُذل أو يُفتن بذهابه إليهم، جاز له ذلك، بل ربما استحب إذا كان قادراً على أن يظهر دينه بين ظهرائهم ويسمعهم ما يكرهون من التوحيد وعيب الهتهم ومعبوداتهم والبراءة من باطلهم وشركياتهم.

أما إن كان المطلوب ضعيفاً وترجح له أنهم سيذلونه أو يفتنونه أو يسمعون من الكفر البواح والشرك الصراح ما لا يقدر على رده بل ربما أظهر إقراره له ورضاه به تقية بعد أن ذهب إليهم برجليه مختاراً، فمثل هذا لا يحل له الذهاب إليهم مختاراً بغير اعتقال أبداً.

لأنه مشيئ وسعي بالرجلين إلى الفتنة وقد تقدم النهي عن ذلك في الأحاديث المتقدمة، وللمطلوب في هذه الحالة أسوة حسنة في الأنبياء والصالحين وأتباعهم من الصالحين الذين كانوا يفرون بدينهم من الكفار.

وفي هجرة المهاجرين الأولين إلى الحبشة عبرة لهذا.
لأنه قد هاجر إليها من خاف وخشي أذى المشركين
وفتنتهم أما أشرف الناس كأبي بكر وعمر ونحوهم فإنهم
لم يهاجروا حتى أمروا بالهجرة إلى المدينة.
ولا يقال أن المطلوب في هذه الحالة يكون مكرهاً
فيجوز له الاستجابة لهم والذهاب ومن ثم يستعمل التقية
عندهم، كما قد حصل مع كثير ممن ذهبوا إلى أولياء
الطاغوت باختيارهم لما سئلوا عنا وعن دروسنا حيث قال
بعضهم: "لو نعلم أن دروس أبي محمد تخل بأمن النظام أو
شيئاً نحو هذا لكننا أول من يبلغ عنه"، فهذا إظهار للموالاتة
لهم، ولمعاداة من يخل بأمن النظام الكافر، من غير
ضرورة ولا إكراه.

فإن قيل؛ قد كنا حين قلنا ذاك بين أيديهم وفي سلطانهم؟

قيل: لكنكم قد ذهبتُم ودخلتم أنتم بأنفسكم بين أيديهم
وفي سلطانهم بادئ الأمر مختارين غير معتقلين ولا
مكرهين.

ولذلك ما أشبه حال هؤلاء - أعني من أظهر مشايعة
الكفار والرضى الظاهر عن كفرهم وشركهم ثم تعذر
بالتقية والإكراه مع أنه كان قادراً قبل ذلك على الهجرة
والفرار، أقول ما أشبههم بحال من أسلم بمكة ولم يهاجر
ويلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مشحاً
بالمسكن أو الزوجة أو الوطن، حتى إذا كان يوم الفرقان
يوم التقى الجمعان أخرجهم المشركون كرهاً وجعلوهم
في مقدمة الصفوف، فكان المسلمون إذا ما رمى بعضهم
بالسهم وقع في أحدهم فيقولون قتلنا إخواننا، فانزل الله
تبارك وتعالى قوله: {إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي
أنفسهم قالوا فيما كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض
قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك
ماواهم جهنم وساءت مصيراً}، فلماذا لم يعذر الله عز
وجل هؤلاء مع أنهم تعذروا بالاستضعاف وأخرجوا في
صفوف الكفار مكرهين،؟! الجواب: لأنهم لم يكونوا
مكرهين حين جلسوا بين ظهرائهم بادئ الأمر، بل كانوا
قادرين على الفرار والهجرة أول مرة، فلما قصروا في
ذلك لم يعذروا بتسلط المشركين عليهم واستضعافهم بعد
ذلك، لأنهم كانوا سبياً في ذلك الاستضعاف والتسلط.

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في رسالة "حكم موالة أهل الإشراف" المعروفة عند أهل نجد بـ "الدلائل"، لأنه ذكر فيها أكثر من عشرين دليلاً على كفر من تولى أهل الشرك، قال عن الآية السابقة: (فإن قال قائل: هل كان الإكراه على الخروج عذراً للذين قتلوا يوم بدر؟ قيل لا يكون عذراً لأنهم أول الأمر لم يكونوا معذورين إذ أقاموا مع الكفار، فلا يعذرون بعد ذلك بالإكراه، لأنهم السبب في ذلك، حيث أقاموا معهم وتركوا الهجرة) أهـ.

فليتأمل العاقل هذا وليفهمه وليعلم أنه إن عرف من نفسه ضعفاً وأنه لن يقدر على إظهار دينه بين يدي الكفار، بل على العكس سوف يظهر توليهم ورضاه عن كفرهم وشركهم وباطلهم، فلا يحل له في هذه الحالة أن يذهب إليهم حين يطلبوه مختاراً أبداً، إلا أن يقهره فيعتقلوه هم فإن أكرهوه بعد ذلك على شيء من الكفر بالإكراه الشرعي المعروف عند أهل العلم بحده وشرطه، فذلك هو المعذور⁽⁷⁾، أما أن يسعى ويمشي إلى الفتنة برجليه ثم يدعى إلى الدخول فيها فيدخلها مختاراً ثم يتعذر بالإكراه، وليس ثم إكراه، فليحذر مثل هذا من غضب الله، إذ قد قال الله تبارك وتعالى بعد أن نهى عن موالة الكافرين ثم استثنى من يقع تحت الإكراه فيتقي منهم تقاة، قال تبارك وتعالى: {ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير}.

ثم للغرض الذي طلب من أجله الموحد اعتبار في هذا أيضاً.

فلا يعقل إذا ما طلب الموجد لأمر غابر ليس فيه إذلال ولا فتنة ولا سماع لكفر أن يفر أو يقاتل أو نحو ذلك، وكذا لو طلب لأداء شهادة حق ترفع فيها مظلمة أو يرد بها حق لصاحبه وليس ثم ذل ولا وقوع في الكفر، فإنه قد يتوجب عليه ذلك في بعض هذه الأحوال إن كان الأمر متعلقاً به وليس ثم شاهد سواه أو نحو ذلك فلا بد من التفصيل واعتبار هذه المسائل.

وكذا حال الطالب فإنه معتبر أيضاً، وإن كان كلامنا في الكفار وأوليائهم، فإن من الكفار من قد يعرف بأنه يكره الظلم، كما جاء في وصف النجاشي وهو على نصرانية وذلك قبل أن يسلم، وهذا ما دعى الصحابة لما كانوا في أرضه وجاء مبعوثاً قريش عبد الله بن أبي ربيعة بن مغيرة

(7) انظر رسالة (ملة إبراهيم) ص 50

وعمر بن العاص لردهم إلى مكة، فطلبهم النجاشي لينظر في حالهم وهل يسلمهم إلى قريش أو يبقوهم في أرضه، أقول: إن مما دعى الصحابة أن يستجيبوا لطلبه ويأتوه مختارين مع أن هناك سعة ومجالاً للفرار كونهم قد ترجح في ظنهم أنه لا يظلمهم، وراجع في خبرهم وقصتهم التي روتها أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأخرجها الإمام أحمد بسند جيد [1/201، 5/290] وفيها قول جعفر رضي الله عنه عن قريش: (فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك، واختربناك على من سواك، ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك).

ولو كان فعلهم هذا خطأ أو منكراً لما سكت عليه النبي صلى الله عليه وسلم ولما أقره بل لأنكره، فقد جاء في وصفه صلى الله عليه وسلم أنه: {يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث}.

إذا تقرر هذا فإذا غلب على ظن المطلوب أن الكافر الذي طلبه لن يظلمه أو يفتنه جاز لم أن يستجيب ويذهب إليه خوفاً أو حذراً من تصعيد الأمور أو تضخيمها، ومثل هذا موجود في كثير من الدول التي تتمسح بالحرية وحقوق الإنسان والديموقراطية ونحوها من مناهج الكفر المعاصرة، وليس هذا تاييداً أو تحاكماً لهذه المناهج والأنظمة والأفكار، لكن هو الاستفادة أو الانتفاع من أجوائها المفروضة والموجودة جبراً، وهو كاستفادة من العصية القبلية أو العشائرية إذا ما فزع أهلها لنجدة موحد من قبيلتهم والقبيلة على الكفر، فمثل هذا؛ أي كون العصية القبلية الجاهلية تنصر أخاها وهي لا تؤيد عقيدته لا يضر الموحد ولا يחדش في توحيده؛ أو يعتبر تاييداً للجاهلية أو تحاكماً لها!! بدليل أن الله تبارك وتعالى امتن على النبي صلى الله عليه وسلم بإيوائه إلى عمه الكافر ونصرة عمه له فقال سبحانه وتعالى: {ألم يجدك يتيماً فآوى}، أي أواك إلى عمك الكافر، ومثله رهط شعيب الذين كانوا مانعاً دونه والكفار قال تبارك وتعالى مخيراً عن أعداء نبيه: {ولولا رهطك لرجمناك} وقد كانوا كفاراً، وكذلك ولي نبي الله صالح عليه السلام الذي كان الكفار يحاذرونه: {قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون}.

فكون المرء يعلم أو يغلب على ظنه أن الكافر الذي يطلبه عليه من الموانع القانونية أو العرفية أو العصبية أو الجاهلية ما يمنعه من ظلمه أو فتنه فهذا مسوغ للذهاب إليه إن خاف فتنة أكبر أو تصعيداً للأمور، والله تعالى أعلم، وتبقى الاستشارة والاستخارة في هذه الأبواب محمودة ممدوحة...

بخلاف ما لو غلب على ظن الموحدين أن الكافر قاتله إن ذهب إليه أو أسره فساجنه سحناً طويلاً أو مؤبداً فهذا محرم لأنه إلقاء بالنفس إلى التهلكة، وقد قال تبارك وتعالى: {ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة} ⁽⁸⁾.

أو غلب على ظنه أنه فاتنه، فقد تقدم النهي على المشي والسعي إلى الفتنة.

وكذا إذا علم أنه ظالمه فلا يذهب إلى ظالمه، إلا أن يخاف ظلماً ومنكراً أكبر.

وكذا إذا عرف أنه مسمعه الكفر والشرك والباطل وأن المطلوب لن يقدر على الدفع والرد أو إظهار الدين، فقد حرم الله تبارك وتعالى القعود في هذا حاله، فكيف يجوز أن يمضي إليه ويسعى برجليه مختاراً، قال سبحانه وتعالى: {وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستنهزاً بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً}.

فلا يذهب مختاراً ليقعد في مجلس هذا حاله وقد علم من نفسه أنه لا يستطيع الإنكار ساعتها ولا المفارقة، بخلاف ما لو علم من نفسه أنه قادر على الإنكار وإظهار دينه ومعتقداته وأمن الفتنة والقتل ونحوه.

هذا عن الذهاب إلى الكافر، أما إن أحاط به الكفار من كل جانب ولا مجال للفرار، ولا يعرف الموحدين ما هم

⁽⁸⁾ ولا يقال أن الآية نزلت في التحذير من ترك الجهاد والإنفاق في سبيل الله وأنها خاصة في ذلك، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ونحن لم نحتج بها على ترك الجهاد، لكن على عدم الذهاب مختاراً إلى الكافر مع غلبة الظن بالقتل أو السجن المؤبد ونحوه، فهو من قبيل قوله تبارك وتعالى: {ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً}، فهذا شيء، والقتال والجهاد شيء آخر.

فاعلمون به، فله ان يجتهد على حسب غلبة ظنهم، إما ان يستأسر إن ظن انه قد ينجو، أو يقاتل حتى ينجو أو يقتل، إن ظن أو ترجح في ظنه أنهم غادرون به، ويدل على مشروعيته هذا وذاك في مثل هذه الحالة، ما رواه البخاري "باب هل يستأسر الرجل؟ ومن لم يستأسر" [6/165]، من حديث أبي هريرة في قضية العشرة الذين بعثهم الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الرجيع فأحاط بهم مائتي رجل كلهم رام ثم أعطوهم العهد أن لا يقتلوا منهم أحد، فمن الصحابة من لم يرض النزول في ذمة كافر مخافة الغدر فقتلوه، ومنهم من استأسر فغدروا به بعد ذلك ومن هؤلاء خبيب رضي الله عنه وفي الخير قصته، ومع هذا لم يرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خطأ أحدا منهم في اجتهاده، لأن المقام مقام إحاطة بهم وليس من مجال للفرار أو الغلبة.

والله تعالى أعلم

ثالثاً بيان أن عدم ذهاب الموحد إلى الكافر وعدم استحبابه لطلبهم لا يعني المواجهة المسلحة على كل حال

فالكلام على الموحد حال استضعافه وقلة حيلته، وهذه حال لا يلزم فيها القتال والمواجهة، نعم نحن نعتقد بأن

هناك نصوص عامة تدل على مشروعية قتال أو جهاد الواحد لوحده أو مع بعض إخوانه للكفار، وذلك جائز عندنا ومشروع ولو عدم الإمام، وهو أمر فصلناه وبيناه في رسالتنا "نزع الحسام"، لكن ميزان المفاسد والمصالح الشرعية معتبر في هذا الباب.

والعمل إذا ترتب عليه مفسدة أو منكر أعظم فإنه غير مشروع.

والمواجهة التي تحقق مصلحة عظيمة وحقيقية للإسلام والمسلمين تحتاج إلى إعداد جاد ولا تكون ردة فعل يجرنا إليها الكفار وهم الذين يحددون ساعتها، إذ ينبغي على المسلم الفطن الكيس أن يعمل من خلال خطته وإعداداته، لا أن يستدرج ويدفع للعمل من خلال خطة العدو وترتيبه، هذا إن كان الموحد ممن يروم نصراً حقيقياً كبيراً للإسلام ويعد لمعركة حاسمة مع الطاغوت، وكذلك إن كان ممن يرى الجهاد والقتال كعمليات اغتيال لرؤوس الكفر وأوليائه، فإن مثل هذا ينبغي أن يضرب ضربات مركزة ومخططة لها إن كان قصده إنزال أكبر نكابة في أعداء الله، وعلى هذا فهو أيضاً لا ينبغي أن يجر للمواجهة العشوائية من خلال استفزازات العدو.

ومن استدل بقصة أبي بصير وقتاله للكفار هو وعصابة قليلة من المؤمنين المستضعفين الفارين من قريش؛ فينبغي أن يراعي الصورة التي استدل بها حق المراعاة إن كان طالب حق، فإن أبا بصير وقتاله وإغارته على قوافل قريش لم تكن تنسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولا كان يتحمل مسؤوليتها ولا تبعاتها، لأن القوم لم يكونوا محسوبين عند الكفار في ولاية الجماعة المسلمة، فكانت أعمالهم لا تؤثر سلباً أو تضر مفسدة أو ضرراً على الجماعة المسلمة أو قل على الدعوة إن شئت، فإن كان المستدل بها يراعي هذا في المفاسد والمصالح، فاستدلاله صحيح وعمله مشروع، ولذلك لما قتل أبو بصير الرجل العامري وهو أحد الرجلين الذين أرجعه الرسول صلى الله عليه وسلم معهما إلى قريش، لم تطالب قريش بديته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أنكرت عليه ذلك أو أثر في العهد شيئاً، لأن أبا بصير لم يكن آنذاك تحسب أعماله أو تنسب إلى الجماعة المسلمة لأنه لم يكن بعد قد دخل تحت ولايتهم وحكمها، ولذلك لم يلزمه العهد المبرم بينها وبين قريش، فلتفقه هذا جيداً، فإن الأعمال العشوائية الغير مرتبطة بدليل شرعي تؤدي إلى الهلاك.

فإن قيل: (يشرع دفع الصائل وهذا من جنسه)؟

قلنا: نعم إن تحقق أن صائلاً يريد قتلك أو فتنك أو الإضرار بك ضرراً مبرحاً، فعند ذلك لا مجال للاختيار والترحيل إلا الفرار أو المدفع عن النفس حسب الطاقة والإمكان.

لكن ينبغي التنبيه إلى أنه ليس كل طلب من الكفار أو أوليائهم يكون حاله حال الصائل الذي يريد قتلك أو فتنك، فالأصل وضع الأحوال بأحجامها الحقيقية ووزنها بالميزان الشرعي، وعدم الانجرار والانسياق وراء الحماس والعاطفة الغير مضبوطة بميزان الشرع والمرء أعلم بأحواله وأحوال دعوته وإخوانه، فليتلطف وليشاور إخوانه وليستخير ربه، فما خاب من استشار ولا ندم من استخار.

وأخيراً:

فلا تعارض بين هذا الذي قررناه ها هنا وبين قول الله تعالى في سورة الأحزاب: {قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلاً}، فقد عرفت أن كلامنا عن فرار المؤمن من الكفار أو استخفائه حال ضعفه وعدم إعداده، إن طلبه الطاغوت أو أوليائه، أما الآية فتتكلم عن القتال حين يتعين الجهاد ويفرض القتال فتلتقي الصفوف، فإن الفرار ساعتها من الزحف من كبائر الذنوب، وقد نزلت الآية في المنافقين الذين كانوا يستأذنون النبي عليه الصلاة والسلام في ترك القتال بغزوة الأحزاب ساعة إحاطة الأحزاب بالمدينة والتقاء الصفين، {يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً...}.

خاتمة
{ فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين }

في الترغيب بالثبات على الحق والحث على الصدع به وعدم الخوف من أولياء الطاغوت

اعلم؛ أن الثبات على قول كلمة الحق في وجه أولياء الطاغوت وإسماعهم ما يكرهون من التوحيد وعيب الهتهم والبراءة منها ومن عبيدها وأولياءها وأنصارها؛ هو الأولى لمن أحب أن يكون من أنصار دين الله تعالى ومن الطائفة القائمة بدين الله تعالى الذين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله تعالى وهم كذلك، والكلام هنا على الدعوة والتوحيد، وليس في الاعتراف بالتفاصيل والأسماء والأمور التي تضر بإخوانك المسلمين.

وقد يقال؛ أن موقف التحقيق ليس مقاماً لبيان كلمة الحق والصدع بها، فإن أولياء الطاغوت لا يريدون معرفة الحق وطلبه في هذا المقام بقدر ما يريدون معرفة توجهاتك وعقيدتك لمحاسبتك ومحاكمتك عليها.

فنقول: نعم هذا حق، ومع هذا فلا مانع من أن تقع كلمة الحق في نفس أحدهم موقعاً حسناً وتهزه هذا عنيفاً فتنفذ إلى قلبه، وعلى كل حال فالموقف في هذا المقام قد يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال.

فإن كان الشخص المأسور يرى من نفسه ضعفاً وأنه لن يقدر على تبعات هذا الصدع، فله أن يكتم معتقده ويتقهم، بشرط أن لا يصرح لهم بكلمة كفر بلا إكراه حقيقي لأن كثير من الناس يتوسع في الرخصة هنا، ويتفوه بحجة الاستضعاف بكلمات كفر ما أكرهوه ولا ضربوه ولا أذوه على قولها، مع أن في المعاريض والإجابة بصيغة السؤال أو ادعاء عدم العلم أو التذرع بالخوف من الفتوى والتورع عن القول في دين الله بغير علم، أقول إن في أمثال ذلك مندوحة عن التصريح بالباطل والكفر، وتلبس الحق به أو إظهار الرضى عن كفرياتهم والهتهم الباطلة من غير ما إكراه، وقد جاء في الحديث: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت).

على كل حال؛ ففي كثير من البلاد لا يهمهم ما تعتقده أو تقوله وتوجهه للمحققين، بقدر ما يهمهم ما الذي قلته

في الشارع أو المسجد وبحضرة الناس وسمعهم وبصرهم من سب الطاغوت والتخريض عليه، وفي بعضها لا يضرك ما تقوله في حضرة المحققين حتى توقع عليه في أوراق التحقيق، فبالإمكان قول كلمة الحق والصدع بها، وعدم التوقيع على تلكم الأوراق، وبإمكان الأخ الموحّد أن يجيب بالعموم دون تخصيص طاغوت باسمه، ولكل مقام مقال ولكل بلد حال، والموحد يقدر ذلك بقدره.

لكن الأولي للأخ الموحّد خصوصاً إن كان ممن يتصدرون لدعوة الناس وقول كلمة الحق، أن يثبت عليه في وجه الطاغوت ولو ضرب أو أودى وسمع منهم ما يسمع، إذ هو ليس أول من سلك هذه الطريق العظيمة ولا آخرهم، وقد سبقه عليها النبيون والصديقون والشهداء، فكم أودى الرسل حتى قتل بعضهم وكذلك الصالحون من اتباعهم حملوا على الألواح ونشروا بالمناشير فما زادهم ذلك إلا إيماناً وتسلماً⁽⁹⁾، وقد ثبت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال: (سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره فنهاه فقتله)، فأياك وإرضاء الناس بسخط الله، لكن أسخط الناس في رضى الله تملك قلوبهم وتقهرهم، ويقذف الله مهابتك في صدورهم.

وقد جرب ذلك كثير من إخواننا الموحدين في أحلك الظروف فما زادهم ذلك إلا احتراماً وإكباراً وإجلالاً ورهبة في قلوب أعداء الله، وقد روى الإمام أحمد وغيره عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: (ألا لا يمنع أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهد فإنه لا يقرب من أجل ولا يباعد من رزق أن يقول بحق أو يذكر عظيم).

ثم لا تنس أخي الموحّد؛ أن هذه المواقف يشهدها الملاء الأعلى ويسمونها ويراهها الله تبارك وتعالى وتكتب، فلتسجل لنفسك موقفاً يباعدك عن أعداء الله ويقربك من سيدك ومولاك، وتباهي به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وتلك حروب من يغيب عن غمارها
ليسلم يقرع بعدها
سنة نادم

⁽⁹⁾ وانظر مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص 342، 343 فقد ذكر هناك سلفاً من أهل العلم لأحمد ممن ضربوا وأوذوا في سبيل الثبات على كلمة الحق... والامثلة كثيرة.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه "إغاثة اللهفان": (من كيد عدو الله تعالى: أنه يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه: فلا يجاهدونهم ولا يأمرؤنهم بالمعروف، ولا ينهونهم عن المنكر، وهذا من أعظم كيده بأهل الإيمان، وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى عنه بهذا فقال: {إنما ذلكم الشيطان يخوف أوليائه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين}، المعنى عند جميع المفسرين: يخوفكم بأوليائه، قال قتادة: "يعظمهم في صدوركم"، ولهذا قال تبارك وتعالى: {فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين} وكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم) اهـ.

نعم فإن خوف الله تعالى إذا ملأ قلب العبد لم يعد في هذا القلب مكاناً لخوف غيره سبحانه، وإذا استشعر العبد عظمة الله تعالى وأنه سبحانه ذو القوة المتين، المهيمن العزيز الجبار المتكبر، الأخذ بنواصي العباد كلهم واستحضر معيته، تحاقت وصغرت وتضاءلت في نفسه جميع قوى الأرض ولم يعأ بها، وإذا استحكم التوكل واليقين في صدره وعلم أن ما أخطأه ما كان ليصيبه وما أصابه ما كان ليخطئه، وأن لو اجتمع الجن الإنس على أن يضروه، لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه؛ ثبته الله وربطه على قلبه، فلو اجتمعت قوى الأرض جميعها عند ذلك ما زعزعت عن طريقه ولا ردتته عن عقيدته الحقّة ولما زاده ذلك إلا إيماناً وتسليماً، {الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً}.

إن من أساليب الطغاة وأعداء الله في حربهم مع المؤمنين أسلوب التخويف والترهيب هذا الذي تلقوه من إمامهم الأول إبليس، فكما أنه لعنه الله يحاول دوماً تعظيم أوليائه في نفس المؤمن وتخويفه منهم لتخذيذه ورده عن الحق المبين، فكذلك يفعلون، فهم يحاولون إظهار قوتهم وإلافتخار بجموعهم وجيوشهم وأسلحتهم ووسائل تعذيبهم وأجهزة أمنهم ومخابراتهم، ويكثرون من مدحها وتعظيمها والثناء عليها، وأنها تحيط وتعلم بكل صغيرة وكبيرة في البلد، وأنها، وأنها، كما أخبر الله تعالى عنهم في كتابه فقال: {ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد}.

ومثل هذه الأساليب لا تؤثر إلا في ضعفاء الإيمان الذين لم تستحكم خشية الله وتعظيمه من قلوبهم، فهم يخشون الناس أشد من خشية الله تبارك وتعالى، وخطر

أمثال هؤلاء عظيم على المؤمنين لأنهم عامل تخذيل وتشيط وإرجاف في الصف المسلم، فينبغي استبعادهم من مواقع التأثير وعدم حسابهم أو إعتبارهم والاعتذار بهم عند تقييم الصفوف، قال تعالى في أمثالهم: {لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم}.

فالإرجاف في مثل هذه الظروف الحرجة أثره على النفوس عظيم، لأن النفوس تحتاج في مثل هذه المواقف لمن يحثها على الثبات ويربط على قلوبها بتذكيرها بمواقف المؤمنين المجاهدين والعلماء الربانيين العاملين، ولذا ذم الله تبارك وتعالى الإرجاف في مثل هذه المواطن، فقال سبحانه وتعالى: {وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً}.

وإنها لمواطن ومواقف عظيمة يتبلي الله بها عباده ليمحص صفوفهم فيميز الخبيث من الطيب، فقد قال تعالى بعد قوله: {إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم... الآية}، قال تبارك وتعالى بعدها بقليل: {ما كان الله ليزر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب}.

فالمؤمنون الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه لا تضيرهم مثل هذه الأساليب الطاغوتية ولا تؤثر على مواقفهم أو تزعزعهم، ولا تزيدهم إلا إيماناً وثباتاً، {الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل} * فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم * {إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين}.

وكان سبحانه قد ذكر قبل هذه الآيات مواقف المنافقين في تخذيل وتخويف المؤمنين ورد عليهم في ذلك: {الذين قالوا لأخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادروا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين}.

ثم ذكر سبحانه منازل الشهداء الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ليدل المؤمنين على طريقهم ويحببهم ويرغبهم بها، فقال تبارك وتعالى: {ولا تحسبن الذين قتلوا في

سبيل الله أموتا بل أحياء عند ربهم يرزقون... الآيات}، إلى أن قال سبحانه وتعالى: {الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، الآيات}.

وكذلك أرشد الله تبارك وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام أن يقول فأمره بعدما قال تبارك وتعالى: {ويخوفونك بالذين من دونه}، قال سبحانه وتعالى بعد ذلك بقليل: {قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون}.

فإذا كان كل أحد في هذا الوجود هو دون الله الذي يتوكل عليه المتوكلون، ويدخل في ذلك كله ما يخوف به المشركون المؤمنين، إذا كان كل أولئك دون الله عز وجل، فانا وكيف يخافهم المؤمن المتوكل على الله العزيز الجبار حق توكله، وإن لنا في التاريخ لعبرة، وأعظم تاريخ هو تاريخ الأنبياء مع أقوامهم، ارجع إليه، وتأمل مواقفهم الخالدة مع أقوامهم المستكبرين، وكيف كانوا يخوفونهم بالهتهم ويهددونهم ويتوعدونهم بعددهم وقوتهم، وانظر في المقابل، إلى مواقف الأنبياء وصلابتها، ارتو منها، وأنهل من معينها الصافي، فإن فيها والله الزاد... وأي زاد!

أنظر على سبيل المثال؛ إلى نبي الله نوح في عمق الزمان، واستمع إليه وهو يخاطب قومه وحيداً فريداً لكنه يستحضر معية الله الذي يتوكل عليه ويستشعر عظمتة سبحانه، فيخاطبهم ولا يخشى سلطانهم أو طغيانهم فيقول {إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون}.

أجمعوا أمركم وما عندكم من قوة وما لديكم من سلطان وجبروت انتم وشركاءكم الذين تعتزون بهم، ثم افعلوا ما بدأ لكم بون أن تمهلوني أو تنظروني، ولا يقول ذلك تهوراً وحماساً وعاطفة جوفاء أسرع ما تزول وتخبوا، وإنما يقوله وهو يعلم أن معه القوة التي لا تغلب، وهو يعلم أن معه الله تبارك وتعالى، ولا يستطيعون أن يمسوه بسوء ما دام متوكلاً عليه معتصماً بحبله المتين، إلا أن يشاء الله، فإن شاء سبحانه فليس ذلك خذلاناً لعبده ولكنه اختباراً وأمتحاناً وتمحيصاً.

وانظر إلى هود عليه السلام؛ كيف يقف بين قومه وحيداً فريداً وهم أعتى أهل الأرض قوة وأشرسهم بطشاً،

بخوفونه بشركائهم وألتهتهم الزائفة التي يعظمونها فيقولون: {إن نقول إلا اعتراضك بعض ألتهتنا بسوء}، فيقف أمامهم متوكلاً على الله بثبات كثبات الجبال أو أشد. ويقول قولة المؤمن الذي لا يخشى أحداً إلا الله: {إني أشهد الله وأشهدوا أنني بريء مما تشركون} * من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون * إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم}.

وتأمل موقف إبراهيم خليل الرحمن؛ وهو يناظر قومه ويواجههم فيعلمهم أنه لا يبالي بهم ولا بالتهتهم الزائفة التي يخوفونه بها، فالأمن والإطمئنان والثبات إنما هو لأنصار الله الذين وحدوه حق التوحيد فلم يشركوا به شيئاً، أما المشركون فأنما ينالون الأمن والإطمئنان وقد أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، بل أولئك ليس لهم إلا الخوف والقلق والخذلان، {وحاجه قومه قال اتحاجوني بالله وقد هداني ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً وسع ربي كل شيء علماً أفلا تتذكرون} * وكيف أخاف ما أشركتم؟ ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به سلطاناً؟ فاي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون؟}.

ويأتي الجواب حاسماً واضحاً جلياً يقرع أسماعهم كالصاعقة: {الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون}.

وانظر إلى موسى كليم الله؛ في أشد اللحظات ابتلاءً وتمحيصاً، وقد لحق به فرعون وجنوده بقوتهم وعتادهم، وهم يومها الملاً وأهل القوة والسلطان، وموسى عليه السلام في قلة مستضعفين ليس معهم من عدة ولا عتاد، وقد فروا بدينهم من الطاغوت، فصددهم البحر فلا سبيل ولا طريق، فقال أصحابه لما بصروا بفرعون مقبلاً بقوته وجمعه وسلطانه: {إنا لمدركون}.

ولكن موسى عليه السلام وفي أشد المواقف وأحلك الظروف وأحسمها، يجب بكل توكل ويقين وثبات تعجز عن مثله الراسيات الصم الصلاب: {كلاً! إن معي ربي سيهدين}.

فماذا كانت نتيجة استحضار معية الله تبارك وتعالى هذه، وذلك الثبات وذاك التوكل، {فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم} * وأزلفنا ثم الآخرين * وأنجينا موسى ومن معه أجمعين *

ثم أغرقنا الآخرين * إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم {.

وانظر كذلك إلى سحرة فرعون؛ بعدما استحکم الإيمان في قلوبهم، كيف لا يعبؤون بتهديد الطاغوت وتخويله ووغيده لهم بالعذاب الأليم، إذ يقول: {قال ءامنتم له قبل أن أذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلاقطعن أيديكم وأرجلكم مني خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى {.

استمع إليهم كيف يردون عليه بكل قوة وثبات ويتوكل عظيم على الله الواحد القهار، لا ترهبهم قوته التي يهددهم بها، ولا يخيفهم عذابه الذي يتوعددهم به، ولا تقلقهم سطوته أو سلطانه الذي ينتفش به، فقد استقر في قلوبهم بعد إيمانهم أن الله هو ذو القوة المتين وأن عذابه هو العذاب الأليم المقيم، وأنه تعالى صاحب السلطان القديم، فإين قوة الخالق من قوة المخلوق وإين عذاب السيد من عذاب العبيد، وإين سلطان القوي المتين من سلطان الضعفاء المهازيل، وقد كانوا من قبل يهتفون بعزة الطاغوت ويأتمرون بأمره، ولكنه الإيمان بالله تبارك وتعالى الذي يصنع المعجزات حيث وقفوا شامخين يردون على الطاغوت بكل وضوح ودون خوف أو وجل: {قالوا لمن يؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا* إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى {.

والأمثلة كثير وكثير...

ولقد كان خاتم الأنبياء والمرسلين مثل أعلى في هذا الباب، تأمل إليه في حديث عمرو بن العاص الذي يرويه الإمام أحمد وغيره بإسناد صحيح، تأمل موقفه وهو واقف بين جمع الكفار في مكة وقد أحاطوا به زمن الاستضعاف وأخذ رجل منهم بمجمع رذائه وهم يسألونه ويقولون: (أنت الذي تقول كذا وكذا؟)، لما كان يبلغهم عنه من عيب الهتهم ودينهم، فيجيبهم صلوات الله وسلامه عليه بكل صراحة ووضوح ودون خوف أو وجل: (نعم، أنا الذي أقول ذلك)، ويقول قبل ذلك: (تسمعون يا معشر قريش أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح)، فتأخذ القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى أن

أشدهم في وصاة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من قول⁽¹⁰⁾.

وكان يشيت أصحابه بقرآن ربه الذي ينزل عليه ويذكرهم بمواقف أهل الثبات في الأمم السابقة فيقول: (قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويشمط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصدده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت فلا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم قوم تستعجلون) [رواه البخاري وغيره].

وبعد هذا كله، فإن هنالك حقيقة يجب أن لا يغفل عنها المؤمنون وأن لا تغيب عن أعينهم وأذهانهم وهي؛ أن الباطل هزيل ضعيف مهما انتفش بهرجه أو انتفخ بزخارفه، ومهما تظاهر بالقوة والمنعة والحصانة فإنه والله أحقر عند جبار السموات والأرضين من الذباب ورحم الله ابن القيم إذ يقول في نونيته:

لا تخش كثرتهم فهم همج الوري ذبابه، أتخاف من ذبان؟

نعم والله إنهم كالذباب، بل أحقر من ذباب، {وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب}.

وإن كان لأهل الباطل حولة وصوله، فإن للحق جولات وصولات، وقد انكشفت حقائقهم وظهر زيف قوتهم على مر التاريخ، ولكن على أيدي رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً، وما ينتفش الباطل وأهله، وما يزهو ويفتخر بقوته الزائفة إلا حين يخلو الميدان من أمثال أولئك الرجال، أه... كم نحن بحاجة إلى أمثال أولئك الرجال؟

وأخيراً:

⁽¹⁰⁾ أنظر الحديث بطوله في مسند أحمد بتحقيق أحمد شاكر رقم (7036).

فإن القرآن يلفت أنظارنا إلى مصير أولئك المعاندين من الأقوام الغابرين، الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد، والذين كانوا أشد قوة وبطشاً وأثراً في الأرض، {ألم ترى كيف فعل ربك بعاد* إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد* وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد* قصص عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد}، {ألم ترى كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل...}.

يلفت القرآن أبصارنا ومسامعنا إلى نهايتهم ومصارعهم، وهاهي آثارهم وبيوتهم خاوية على عروشها أهلكهم الله عز وجل ونصر جنده الموحدين، فما أغنت عنهم قوتهم التي كانوا بها يفاخرون، ولا عُددهم وعتادهم وجموعهم التي كانوا بها يزهدون ويتفخسون، أهلكهم سبحانه وما كان لهم من ولي ولا نصير، ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم، {أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وأثراً في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون* فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا يستهزئون* فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين* فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون}، وبعد، فهذه حقائق جديرة بالتدبير والنظر العميق منا، من أعدائنا، لعلهم يرجعون، {ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون}.

يقول العلامة ابن القيم في نونيته:

سير البريد	يا قاعدا سارت به أنفاسه
وفد المحبة	وليس بالذملان
في الله	حتى متى هذا الرقاد وقد سرى
جاءت عن	مع ألي الإحسان
ضرب المجاهد	اصدع بأمر الله لا تخش الوري
مخلص	واخشاه تفز في أمان
	وانصر كتاب الله والسنن التي
	المبعوث بالقرآن
	واضرب بسيف الله كل معطل
	فوق كل بنان
	واحمل بعزم الصدق حملة
	متجرد لله غير جبان

واثبت بصبرك تحت ألوية الهدى
 رضى الرحمن
 واجعل كتاب الله والسنن التي
 صح بجنان
 من ذا يبارز فليقدم نفسه
 بيد في الميدان
 واصدع بما قال الرسول ولا تخف
 الانتصار والاعوان
 فالله ناصر دينه وكتابه
 عبده بأمان
 لا تخش من كيد العدو ومكرهم
 بالكذب والبهتان
 فجنود أتباع الرسول ملائكة
 الشيطان
 شتان بين العسكريين فمن يكن
 فليُنظر الفتان
 واثبت وقاتل تحت رايات الهدى
 الله ربك دان
 فالله ناصر دينه وكتابه
 والسلطان
 والحق ركن لا يقوم لهذه
 جمعت له الثقلان
 وإذا تكاثرت الخصوم وصيحوا
 كمثل دخان
 يرقى إلى الأوج الرفيع وبعده
 الحضيض الداني
 لا تخش كثرتهم فهم همج الورى
 اتخاف من ذبان
 لا ترتض برياسة البقر التي
 من جملة الثيران
 وإذا همو حملوا عليك فلا تكن
 لحملتهم ولا بجان
 واثبت ولا تحمل بلا جند فما
 الشجعان
 هذا وإن قتال حزب الله بالأعمال
 الشجعان
 والله ما فتحوا البلاد بكثرة
 وأعداهم بلا حسيان
 فإذا رأيت عصابة الإسلام قد
 السلطان

فإذا أصبت ففي
 ثبتت سلاحك ثم
 أو من يسابق
 من قلة
 والله كاف
 فقتالهم
 وجنودهم فعساكر
 متحيراً
 واصبر فنصر
 ورسوله بالعلم
 أحد ولو
 فاثبت فصيحتم
 يهوي إلى قعر
 وذبابه
 رؤساؤها
 فزعاً
 هذا بمحمود لدى
 لا بكتائب
 أنا
 وافت عساكرها مع

لا تحزن إن
الله معنا

فهنالك فاخترق الصفوف ولا تكن
ولا الفرعان
والحق منصور وممتحن فلا
فهذه سنة الرحمن
وبذاك يظهر حربه من حربه
طائفتان
ولأجل ذاك الحرب بين الرسل
الورى سجلان
لكنما العقبى لأهل الحق إن
الديان
تمت
بحمد الله

وكتب: أبو محمد
المقدسي

الثاني عشر من شعبان سنة
1414
من هجرة المصطفى عليه
الصلاة والسلام

منبر التوحيد
والجهاد

sw.dehwat.www
ten.esedqamla.www
ofni.hannusla.www
moc.adataq-uba.www

الفهرس

مقدمة: لا تحزن إن الله معنا.
أولاً: في بيان مشروعية فرار الموحدين من الكفار
واستخفافه حال الاستضعاف.
ثانياً: في حكم الفرار من الكفار هل هو على الوجوب
أم الاستحباب.
ثالثاً: بيان أن الفرار وعدم الاستجابة لطلب الكافر لا
يلزم منه المواجهة.
خاتمة: في الترغيب بالثبات على الحق والحث على
الصدع به وعدم الخوف من أولياء الطاغوت.
آيات لابن القيم.

منبر التوحيد والجهاد

* * *

منبر التوحيد وال